

فنون

نصري شمس الدين الذي أحبّ الناس والبساطة:
أمير القلوب وأيقونة الفولكلور اللبناني

احد اعمدة المشروع الرحباني، حمله على اكتافه وبصوته التينور الحنون في آن، وفي ادواره المسرحية والسينمائية. مع ذلك، اوجد لنفسه حيزا مستقلا قائما في ذاته، فتعاون مع مروحة واسعة من الملحنين والشعراء في اغنيات ما زالت حاضرة لغاية اليوم

نصري شمس الدين (1927 - 1983) عصي على الزمن. طبع وجدان اللبنانيين باغانيه التي بناها على صخرة الفولكلور والطابع الشعبي، بحلو اللحن والكلام والصوت. خلال الشهر الماضي، اقيم "مهرجان صور الموسيقي الدولي" في دورته الرابعة تحت شعار "تحية الى نصري شمس الدين" في المسرح الوطني اللبناني في مدينة صور، في حضور عائلة نصري شمس الدين. بعد اشهر، تحل ذكرى رحيله الـ 37 ليلة هوى على خشبة المسرح التي لطالما احب، حين كان يحيي حفلة في دمشق يوم 18 آذار 1983.

"الامن العام" التقت نجله مصطفى نصري الدين الذي تحدث عن رغبة العائلة في اقامة مهرجان سنوي في بلدة جون، مسقط الراحل، تكريما له وتقديرا لسهاماته في المشهد الفني اللبناني، كما تحدث عن الوجه الاخر لنصري الاب والانسان والصديق.

■ اخبرنا عن نصري شمس الدين الاب والزوج ورب الاسرة؟ كيف كان تعاطيه وشخصيته في البيت؟

□ كان الوالد في البيت انسانا هادئا، وكان رب اسرة مسؤولا، وكنا نحن اولاده نحبه ونحترمه جدا. كان صديقا لنا اكثر منه والدا، اذ كان يتعاطى معنا كأصدقاء وكنا نخبره بكل شيء. كان يكره الكذب جدا، وشخصيته في المنزل مرحة جدا. لم يكن يطبق ان يكون احد افراد العائلة حزينا او مريضا. كانت الإبتسامة دوما على وجهه. يحب عائلته بشكل لا يوصف، ويحب جلسة البيت، خصوصا في ضيعته جون. يحب ان يسمع اكثر من ان يتكلم، وكان ايضا كرميا جدا يحب الناس.

■ هل زرع حب الفن في اولاده؟

□ طبعاً، انا درست في الكونسرفاتوار الوطني لمدة سنتين، ثم حين اندلعت الحرب الاهلية



الفنان الراحل نصري شمس الدين.

وهذا ما حصل. فانا وشقيقتي تتمتع بالمعلومات والثقافة الفنية، فهما درستنا ايضا النوتة والبيانو، وانا درست الكمان والبيانو. لكن اود الاشارة هنا الى ان الوالد لم يكن يريد ان نعمل هذه المصلحة لانها متعبة، وكنا نحن شهود على تعب وسهره والوقت والجهد اللذين يستغرقهما الفن، خصوصا وان ايامه كانت مختلفة عن ايامنا، اذ لم يكن هناك وسائل اعلام كثيرة يومها. لم يكن يريدنا ان نتعب مثلها هو تعب. بعد وفاته، لم نعد نرغب في مواصلة درب الفن لاننا اخذنا بنصيحته، كما ان الاجواء الفنية تغيرت.

■ كنت ترافقه الى المسرح والتدريبات، هلا

اخبرتنا عن لحظات ومواقف ما زلت تذكرها من تلك الرحلات؟

□ طبعاً، كنت ارافقه الى المهرجانات والحفلات وكواليس العروض المسرحية. كان تعاطيه مع زملائه من موسيقيين وشعراء وكتاب وممثلين، ودودا وهادئا ومتعاطفا. كان دوما مرحا لا يحب الاخبار الحزينة. كانوا يتعاطون معه كأنه رفيقهم وصديقهم. كان يحب المزاح جدا في الكواليس. كنت ارافقه احيانا الى مسرح البيكاديللي حين كان يشارك في مسرحيات الرحبنة. خلال الاستراحات، كان يلعب الطاولة مع الاستاذ الراحل فيلمون وهبي، ووليم حسواني، وبرج فازليان، وملحم بركات، وجوزف ناصيف، وايلي شويبي. كانت اياما جميلة والتعاطي رائعاً في ما بينهم. كانوا يقدرون فنه وطريقة تمثيله، وكان هناك نوعاً من الاستشارة المتبادلة في خصوص الاعمال والمشاريع الفنية التي يعملون عليها. يسمعون بعضهم بعضا اللحن، وكانوا يحبون اخذ رأيه الفني في هذه المشاريع. حتى الاستاذ وديع الصافي. اتذكر يوم اصدر والذي اغنية "دقين ما ردوش"، قال له: اريد ان اسمعك هذه القطعة، واحبها الاستاذ وديع جدا. كانت المشورة متبادلة من اجل نجاح العمل الفني. انطلاقاً من ذلك، كان لديه الكثير من الاصدقاء والاحباب، والكل حزن عليه حين توفي لانه فنان استثنائي لا يتكرر في التمثيل والغناء والصوت الجميل والنادر. صوته تينور نادر لانه من نوع التينور الحنون لا التينور الصاحب. لذا، لا يمكن لاحد ان يقلد صوته.

■ كان بيتكم اشبه بصالون استقبل اهم الملحنين والفنانين، من فيروز الى ملحم بركات، اخبرنا عن هذا الجو؟

□ طبعاً، كان بيت العائلة مفتوحا دوما وباستمرار اكان في بيروت او جون. كنا نادرا ما نتناول الفطور او الغداء او العشاء وحدنا. هناك دوما ضيوف عندنا. وكان هو شخصا كرميا جدا، وكثيرون يترددون عليه ويستقبل كل الفنانين الذين كانوا يحبون رفقته جدا مثل فيلمون وهبي، ملحم بركات، وليم حسواني... حتى اذا لم يكن موجودا، كانوا يأتون وينتظرونه. كان هناك ود كبير بينهم وعشرة عمر بحكم العمل الطويل بينهم. كانوا يحبون رفقته ويتحدثون في الصيد والالحن والمشاريع الفنية والشعر. ◀

نقطة على السطر

الصوت الأول

لكل منا صوته الاول، كما المنزل الاول. الصوت الذي يصدح في داخله، ويرافقه على امتداد مراحل حياته. تمحى الصور، وتشخى الاشياء، وتبتعد الامكنة، وتترامك التجارب بحلوه ومرها، وتتغير العهود، ويغيب الاحبة... لكن هذا الصوت يبقى. نضرا، طازجا، متغلبا على الوقت، عابرا للمراحل. انه معشش هنا، حيث تركناه، حيث انطلق عداد الزمن. معشش في مكان سحيق، تأسيسي، المكان الاول. وكلما اوغلنا في الذاكرة عدنا الى الورا كاقصى ما نستطيع، سنجد هنا حيث سمعناه اول مرة، فكان عهدنا بالفن، بما هو مصدر وحي وتناغم وارتقاء، بما هو مرآة لذواتنا، وخزان لانفعالاتنا، ومصنع ذكريات لا يامنا الا تية.

هذا الصوت هو بالنسبة الى كثيرين منا، من مختلف الاجيال وعبر شتى الاذواق الفنية، صوت نصري شمس الدين. لا تفتقر المكتبة الموسيقية اللبنانية خلال القرن العشرين الى الاصوات، نسائية ورجالية، بل تحفل بالمواهب الفذة، والطاقت الخلاقة، واسماء لامعة ولدت مدارس فنية، وغيرت مسار الاغنية اللبنانية والعربية، وحلقت عاليا في سماوات الابداع والتمايز... لكن صوت نصري، بقوته ونقاؤه، يجعله يقف على حدة بين اقرانه. ليست مباراة مع الاخرين، ولا مفاصلة بين عباقرتنا، بل محاولة للاحاطة بحضور خاص، ساحر، لا يفسر. خصوصية في الحضور والطابع والقدرات واللون، تقترن ايضا بمسيرته الابداعية والاعمال التي اداها، والشخصيات التي جسدها في المسرح الرحباني تحديدا.

خليط من كل ذلك، يعطي نصري حضورا في ذاقتنا ووجداننا يتجاوز التقويم النقدي للثناء. احيانا يطلع علينا حين نبحت عن الطيبة، والشجاعة، والنخوة، والصفاء. صوت يختزن الرجولة، والاصالة، والمروءة، صوت القرية اللبنانية في عالم بسيط سابق على الجوائح والتفكك والتلوث والقيم المادية، والتطور السطحي.

هل هو حين الى زمن القرية كما يبدو في العالم الرحباني؟ ام ابعد من ذلك، حين الى لبنان اخر، مشروع وطن مشرع على كل الاحتمالات؟ الى اصالة فنية كنستها سيول الاغنيات الهزيلة والعقيمة التي اجتاحت حياتنا، ولوثت اذاننا، واذا بنا نرددها مع الحشود الممسوسة؟... كل ذلك وارد، لكن هناك ما هو ابعد منه حتما: الشخصية التي يجسدها الصوت، تلك العلاقة العضوية بين الصوت وصاحبه. نصري هو صوته الفريد. قد يبدو الامر بديهيا، فكل مغنٍ يتميز بصوته. ربما، لكننا هنا في حضرة الرجل - الصوت الذي يأخذك الى الجذور. الى عالم مثالي نصبو اليه ونفتقده في حياتنا اليومية.

ولا شك في ان العبقرية الرحبانية اعطت لنصري شمس الدين الكثير، لكن يجب ان نقول ايضا انه ظلم، ولم يأخذ حقه فنيا كما كان يفترض. بقي على الهامش، رغم عطائه وابداعاته، وكل ما اداه من ادوار وقدمه من اغنيات. ولو اعطيت له الفرص التي تتناسب وحجمه الحقيقي، لاشتملت مكتبتنا الغنائية على مزيد من الكنوز والاعمال النادرة.

نصري اليوم قائمة على حدة في تراثنا. عابر للاجيال، مسافر في المسافة بنعال من ربح. يأخذنا صوته الى الينابيع. الفنان الذي لم يأخذ حقه، هو حارس الزمن الجميل، واستثناء عظيم في تاريخ الاغنية اللبنانية.

حدث يقام سنويا لتكريم نصري ومساهماته في الاغنية اللبنانية؟
□ وزارة الثقافة وبلدية جون كرمته سنة 2017. اليوم، نحب ان نرسي تقليدا عبارة عن مهرجان سنوي تقديرا لفنه وعطائه ومحبه لضيعته والاعمال التي تركها في لبنان والعالم العربي.

■ نصري شمس الدين ظاهرة ليس فقط لبنانية، بل ان شعبيته كانت عربية من دمشق الى مصر، هلا اخبرتنا عن سر هذه الشعبية؟
□ نصري لم يترك اذاعة او تلفزيون في العالم العربي لم يسجل فيها اعمالا من الاردن وسوريا الى الكويت ومصر والسعودية. كانت له كوتا سنوية يقدمها في هذه البلدان. كان كل عام يقدم حفلات في سوريا والكويت، حتى انه غنى باللهجة السودانية. كان الكل يكن له محبة بفضل طريقة مغنا وصوته الفريد والجميل، وكان قريبا ومحببا للشعوب العربية، واغانيه جميلة وسريعة الحفظ ايضا.

كثرة هذه الادوار، بدءا من الاسكتشات الاذاعية مثل "كاسر مزراب العين"، و"براد الجمعية"، و"نصري وسبع ومخول". ثم لعب ثلاثة ادوار سينمائية في "بياع الخواتم" و"سفر برلك" و"بنت الحارس". وكان هو البطل الاساسي الى جانب السيدة فيروز في كل مسرحيات الرحابنة مثل "موسم العز"، و"هالة والملك"، و"الليل والقنديل"، و"فخر الدين"، و"جسر القمر"، و"الشخص"، و"يعيش يعيش"، و"دواليب الهوا"، و"صح النوم"، و"جبال الصوان"، و"ناطورة المفاتيح"، و"ميس الريم"، و"لولو"، و"قصيدة حب"، و"بترا". لعب ادوارا كثيرة، وكان يتقمص كل شخصية يقدمها. مثلا حين كان يقدم مسرحية "فخر الدين" في بعلبك، قال له الاستاذ منصور مرة خلال الاستراحة: "نصري تعال، نريد ان نتعشى"، فاجابه نصري: "ليس هكذا يكون الكلام مع فخر الدين". كان يتقمص جدا الشخصية، حتى في البيت. كنا نشعر حين يكون منهمكا في مسرحية، بأنه شخصية مختلفة تماما. لا يتحدث كثيرا، ويجب باقتضاب عن اسئلتنا. كان يتلبس الشخصية حتى يتخيّلها. وكنت انا اساعده في حفظ ادواره.

■ في عام 2017، نظمت جون اول تكريم لنصري شمس الدين، هل هناك مخطط لمهرجان او



القبضي.

الموسيقى. طبعا، كان الفن يدر مالا في ذلك الوقت لكن ليس بقدر ايامنا هذه. لكن الحمد لله كان الله يرزقه.

■ في احد لقاءاتك، تحدثت عن تأثره بالشخصيات التي جسدها على المسرح، مثل شخصية فخر الدين، هلا اخبرتنا عن هذه القصة؟
□ طبعا، تأثر بكل دور لعبه على المسرح رغم



في مسرحية "فخرالدين".



مصطفى نصري شمس الدين.

وشعبية وبسبب كلامها ولحنها الجميل. لذلك، لا يمكن لاغانيه ان تموت. في خصوص معصرة الزيت والزيتون، فهو ورثها عن جدي، وكان والدي يعشق الارض، ويقصد جون في وقت فراغه حيث يمضي وقته في المعصرة ومع العمال. يأتي بالعود ويغني لهم بينما هم يعملون. احب الارض كثيرا. وكان يأتي بالعود ليغني للزرع والشجرة التي يزرعها. كان يقول لي ان الشجرة تسعد لدى سماع

اتذكر ان اياما كاملة كانت تمر يعود فيها الى البيت فجرا، ونكون نحن نياما. حتى لو كان في البيت، كنا نادرا ما نراه مرات بسبب ضغط العمل. كان مثابرا يحب جدا عمله. اخذ الفن كرسالة يوصلها الى العالم وترك بصمة كبيرة في لبنان والعالم العربي بهذه الرسالة. واعتقد بأن اغنيات نصري لغاية اليوم يمكن سماعها في اي وقت ومن مختلف الشرائح الاجتماعية لانها متنوعة بشكل كبير،



مع فيروز في فيلم "بياع الخواتم".

■ اخبرنا عن قصة "طلوا طلوا الصيادي"؟
□ هذه الاغنية من الالحن الجميلة التي ما زالت حاضرة حتى اليوم. غنى نصري الكثير من الالحن وللكثير من الشعراء والملحنين امثال الرحابنة وحليم الرومي وفيلمون وهبي والياس الرحباني، ومن الشعراء طانيوس الحملاوي ومارون كرم. كما غنى لعفيف رضوان وزكي ناصيف وملحم بركات وعبد الجليل وهبي وشفيق المغربي واسعد السبعلي واسعد سابا وسمير مجدي من سوريا وعبد الغني شعبان ومصطفى محمود ومحمود محسن وحسن غندور وزيد الرحباني، كلهم تعاون معهم كشعراء وملحنين. ارشيفه كبير وغني جدا. اما قصة "طلوا طلوا الصيادي"، فكان الاستاذ عاصي الرحباني قد كتب الكلام وطلب من فيلمون وهبي تلحينه. اجابه فيلمون يومها بأنه ذاهب الى الصيد مع نصري واخذ النص معه. فعلا، بعد دواما معه في السيارة. اخرج العود وبدأ تلحين النص وفي اليوم التالي، جاء الى مكتب الرحابنة واسمعا الاغنية الى الاستاذ عاصي. كان الاخير يحب جدا الحان فيلمون وهبي، لكنه ايضا كان يضع ملاحظاته على الاغنية.

■ قدم نصري شمس الدين مروحة واسعة ومتنوعة من الاعمال، في رأيك ما هي الاغنيات الاحب الى قلبه؟

□ غنى نصري القصيدة، الشعر، الاغنية الفولكلورية والشعبية وكل انواع الالحن والاغاني. لكنه كان يحب دواما الاغنية الشعبية الطربية. كان يدقق كثيرا في كلام الاغنية، لانه يحب الكلمة جدا. لذا، نلاحظ ان كل كلماتها فيها احساس وطبيعة وحب وكل انواع المحبة والاصالة وقريبة من القلب. كان الاساتذة عاصي ومنصور الرحباني وفيلمون وهبي يقولون لنصري بأن البعض قد يخال طريقة مغناك سهلة، الا انه حين يجرب تأديتها بنفسه، يشعر بالسهل الممتنع، اذ انها تحتاج الى كثير من المهود. كان يؤدي اغانيه كأنها خارجة من قلبه.

■ لم ينظر يوما الى الفن بصفته مصدر رزق، بل رسالة، حتى انه يقال انه كان يعمل في بيع الزيت للاتكال عليه في رزقه اكثر من الفن.
□ نصري تعب جدا في مسيرته الفنية. عمل كثيرا،